الاجتماعية المستقلة بمعزل عن ارتباطاتها الكونية، حيث يتمثل التعبير الاقتصادي لذلك في الشركات متعددة الجنسية التي تسيطر على ما يقرب من ٧٠ بالمئة من حركة الاقتصاد العالمي، غير الشيوعي. أما التعبير السياسي فيتمثل في هيئة الأمم المتحدة (على الرغم من رخاوة هذه الهيئة). لكن التمثيل الأهم يجد ترجمته في الأحلاف السياسية ـ العسكرية القائمة على الصعيد العالمي. وفي هذا الاطار الكوني يمكن رؤية وضع منطقة الشرق الأوسط على النحو التالي:

١ ـ دولة اسرائيل كمرحلة في «تحقق الصهيونية» وفدت وتشكلت وقامت في إطار التوسع الأوروبي خارج حدوده الذي شمل، فيما شمل، منطقة الشرق الأوسط. فقد وفد الصهيونيون في قافلة الاستعمار، وصاروا أداة له بعد رحيله المباشر عن المنطقة. وبهذا المعنى هم جزء عضوي من الغرب الاستعماري، فكراً وتكويناً (مقولة إسرائيل جزء من العالم الحر).

٢ ـ دولة اسرائيل مرحلة من مراحل تحقق الصهيونية، حسب ما يفيد بذلك أيديولوجيوها السابقون والقائمون عليها حالياً، حيث يقضي «الحلم الصهيوني» بعودة كافة اليهود إلى «أرض ـ اسرائيل» التي ورد ذكرها في توراة اسرائيل. وبهذا المعنى، فإن دولة اسرائيل الحالية أداة لانجاز ذلك «الحلم»، وعلى هذه الأداة توفير شروط استقبال «اليهود العائدين» إلى «أرض الأجداد». وشرط الاستقبال هذا يعني، توفير الأرض والأمن.

٣ ـ ولّد حلول الاستعمار في المنطقة حركة مناهضة له حملت اسم حركة التحرر العربية. وقد طورت تلك الحركة أهدافها ومفاهيمها (دون أن تكون وحدة تنظيمية) من انهاء الوجود الاستعماري إلى اللحاق بالركب الحضاري العالمي، فانجزت هدفها الأول عبر تسوية مع الاستعمار تدخلها في إطاره الكوني، وحاولت انجاز الهدف الأكبر، وما زالت، بالتعاون معه ومحاكاته، باعتباره المركز.

٤ ـ بانحسار الاستعمار المباشر عن المنطقة، خلف وراءه في جزء منها (فلسطين) الصهيونيين الذين اعتبروا أنفسهم حركة تحرر على «أرضهم»، واعتبروا خروج الانكليز من فلسطين انهاء للانتداب والوصاية عليهم، كما وصفوا طردهم للفلسطينيين من ديارهم «بحرب الاستقلال»، فتولدت، بذلك، ما عرف بأسم القضية الفلسطينية. وقد اكتسبت هذه القضية في العرف الدولي طابعاً إنسانياً (مشكلة عودة اللاجئين أو التعويض عليهم)، بينما ظلت هذه القضية في ذاكرة الفلسطينيين قضية «وطن سلب» يجب استعادته.

تلخيصاً لما تقدم، يتجلى الصراع حول أرض فلسطين، من قبل الصهيونيين والفلسطينيين، على مسألة العودة إلى تلك الأرض، وتحقيق الشخصية الوطنية الخاصة. وعلى هذا يطرح كلا الطرفين مشروعه السياسي لتحقيق شخصيته على كامل أرضه «أرض اسرائيل لشعب إسرائيل»، «أرض فلسطين لشعب فلسطين». وكلا الشعبين، قسم منه على أرض فلسطين وقسم منه خارجها (حسب توصيف كل طرف منهما لشعبه). ويرى بعض الاسرائيليين أن هناك «مشكلة يهودية» لا «مشكلة فلسطينية»، وعلى العالم ايجاد حل للمشكلة اليهودية وليس للمشكلة الفلسطينية، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن حل المشكلة الفلسطينية يقع على عاتق الدول العربية التي أبقت هذه المشكلة قائمة كاستمرار لصراعها مع اسرائيل[١].

بالنسبة إلى الدول العربية، تعتبر المشكلة الفلسطينية مشكلة «شعب شقيق». وفي ظل